

وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة

الأستاذ أ.م. شفيق الخطيب

رئيس دائرة الماجم في مكتبة لبنان - بيروت

ويعقوب صروف ومحمد شرف وأمين الملعوف وأنسناس الكرمي ومصطفى الشهابي وسواهم قد تركوا لنا ثروة من مصطلحات العلوم أثبتت أن العربية اليوم قادرة على تأدية الرسالة العلمية والتقنية والحضارية بدقة وضياء كما ادتها من قبل أيام كان المتشوقون إلى العلم من طلاب الإفرنج يتبعون العلم في الجامعات العربية متخفين بزي الدراسات (١) .

والواقع أن المقد المد السابع من هذا القرن شهد من الماجم اللغوية الإحادية اللغة منها والثنائية ، العامة منها والمتخصصة ما لم يشهده عقد في تاريخ العربية على مدار الطوبل وأنه بالرغم من كل ما تشكوه منه المجتمعات العربية من أزمات ومشاكل فإن اللغة العربية تشهد في هذا العصر ازدهاراً مشجعاً نأمل أن تعمكس آثاره على شتى نواحي النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية في مختلف أنحاء الوطن العربي.

ان مستقبل المصطلحات العلمية ومستقبلنا العلمي إلى حد بعيد مرتبطة بقضية تعرير التعليم لا في المدارس الثانوية فقط بل وفي الجامعات أيضاً . وما دام انه قد أصبح لدينا ما نبدأ به فال يوم أفضل من غد . وانه لغاية أملـي أن يكون صدور هذا

لقد بدـا العالم العربي يستعيد ثقـته بلـغـته في مجال المصطلـحـات العلمـية والتـقـنية والـحـضـارـية واجـتـازـتـ اللـفـةـ العـرـبـيـةـ بـنـجـاحـ فـتـرـةـ مـخـاصـ عـسـيـرـةـ كانـ لـابـدـ مـنـهـ ،ـ فـقـدـ شـهـدـنـاـ بـارـتـيـاحـ نـجـاحـ حـرـكـاتـ تعـرـيـفـ التـعـلـيمـ الثـانـويـ فـيـ مـعـظـمـ الـبـلـادـ العـرـبـيـةـ وـهـاـ نـحـنـ نـرـقـبـ بـالـأـمـلـ الـفـاعـلـ الـمـحاـوـلـاتـ الـجـدـيـةـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ هـذـهـ الـاقـطـارـ تـعـرـيـفـ الـتـعـلـيمـ الـجـامـعـيـ دـوـنـ أـنـ يـعـنيـ ذـكـرـ تـقـليلـ مـنـ أـهـمـيـةـ الـلـغـاتـ الـأـجـنبـيـةـ .

وقد كان لجهود مجتمع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق وحديـثـاـ المـكـتبـ الدـائـمـ لـتـسـيـقـ التـرـجـمـةـ وـالـتـعـرـيـفـ لـلـوـطـنـ الـعـرـبـيـ فـيـ الـرـيـاطـ)ـ أـكـبـرـ الـأـثـرـ فـيـ اـسـتـعـادـهـ هـذـهـ الثـقـةـ ،ـ فـالـجـلـالـ الـدـوـرـيـ الـتـىـ تـصـدـرـ عـنـ هـذـهـ الـاـكـادـيـمـيـاتـ لـاـ تـكـادـ تـخـلـوـ وـاحـدةـ مـنـهـاـ مـنـ اـبـحـاثـ لـفـوـيـةـ بـنـاءـ وـمـصـلـحـاتـ جـدـيـدةـ فـيـ شـتـىـ فـرـوعـ الـعـلـمـ وـالـصـنـاعـةـ .ـ وـاـذـكـرـ بـهـذـهـ الـمـنـاسـبـ اـنـ مـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ القـاهـرـةـ وـحـدـهـ قـدـ اـسـافـ إـلـىـ لـغـةـ الـعـالـمـ عـنـدـنـاـ فـيـ رـبـعـ الـقـرـنـ الـمـاضـيـ نـيـفـاـ وـعـشـرـيـنـ الـفـ مـصـلـحـ فـيـ شـتـىـ فـرـوعـ الـعـلـمـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـةـ .ـ كـذـلـكـ فـانـ الـعـدـيدـ مـنـ عـلـمـانـاـ الـاعـلـامـ أـمـثـالـ بـطـرسـ الـبـسـانـيـ وـاحـمـدـ فـارـسـ الشـدـيـاقـ وـخـلـيلـ سـعـادـهـ

(1) راجع صفحة 22 من كتاب : A Companion to School Mathematics - by F.C, Boon Longmans, London 1960.

بها المجمع المذكور خلال المدة ذاتها (ان لم تتفقها قيمة) .

ان اللغات التركية والفارسية والمبرية نظمت في ميدان العلوم العصرية اشواطا بعيدة فاصبحت تدرس بها شتى فروع العلم الحديث من طب وهندسة والكترونيات وسواها كما نجحت في ان تكون لغة المؤتمرات العلمية (في الكيمياء والفيزياء والتكنولوجيات) التي تعقد في الاقطان الناطقة بتلك اللغات . وقد تنسى لها ذلك بادخال آلاف الكلمات العلمية والتقنية ذات الطابع العالمي ضمن مفرداتها - وهو امر سبقتها اليه العربية في عصر النهضة والافتتاح ايام كان مترجمو دار الحكمة يعرّبون من الفاظ اليونانية والسريلانية والهنديّة والفارسية الشيء الكثير فيقبضون بذلك ترجماتهم وزنها ذهبا ، ونحن اليوم لا نعتبر الفاظا مثل اسطورة واسطول واقيانوس ونانوره وبند وهندسة وقلنسوة وسواها وكلها معرفة) الفاظا خارجة على الذوق العربي او حاطة بقدر اللغة - بينما تقيدنا في بداية عصر النهضة الحديثة بمحاولات ترجمة الالفاظ والاسماء والمطلحات العلمية والحضارية بالفاظ عربية وذلك تحت تأثير القائلين بأن في لفتنا لكل شيء مقابل ، « فهي المحيط الشامل كل منتاجات الحضارة ما ظهر منها وما سيظهر ، فما على الباحثين الا الفوض في هذا المحيط لاستخراج درره »

لقد ادى مجمع اللغة العربية في القاهرة خدمة جل للغة العربية حين حطم الاسطورة القائنة بأن ادخال العرب من الالفاظ في متن اللغة يحط من قدرها : وفي الماجم المختصة وال العامة التي اصدرها المجمع المذكور دليل واضح على الدور المهم الذي يؤديه التعرّيف في لغة العلم الحديث (3) .

لقد كان التقى بترجمة الالفاظ والاسماء بالفالوز عربية ذات نتائج سلبية من ناحية واجحية من نواح اخرى وكانت النتيجة السلبية الرئيسية تحول التعليم العالي في معظم البلاد العربية (والتعليم الثانوي في بعضها) الى تدريس المواد العلمية والرياضية باللغات الأجنبية وهو امر مازلنا نعاني منه في كثير من البلاد

المجم احد العوامل الفاعلة في تحقيق هذا التحول الحضاري ، فلا يعقل ان تخوض مجالات العلم الحديث وتنعم بمنجزاته وتبقى لفتنا غريبة عن جو العلم وديناميكته وابداعه وتدفقه . لقد آن ان تصبيع اللغة العلمية العربية جزءا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع وان تغدو مصطلحات العلم والحضارة باللغة العربية قسما حيويا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والاديب وصاحب الاختصاص الفني .

لقد مضى وقت كان يمكن ان تبقى صياغة المصطلحات العلمية والفنية فيه مسؤولية الجامع والمؤسسات اللغوية ، ففي كل يوم يغمرنا سيل من الالفاظ والاسماء لمستحدثات الحضارة ومكتشفات العلم في المختبرات والمعامل الكيماوية والفيزيائية والصناعية والفضائية وسواها حتى ان احد المختبرات في بلد متقدم يقدر ما يبتدعه علماؤه من الفاظ جديدة بما يتراوح بين الخمسة عشر والخمسين يوميا ، فلا يعقل والحاله هذه ان تنتظر هذه الالفاظ مواسم اجتماع اللجان المختصة ومناقشاتها وقراراتها ، ولابد من فتح المجال للابداع الفردي المنظم لتابعه الركب العلمي ومواكبته وذلك بقيادة المؤسسات العلمية والجامع اللغوية ومرافقتها وتوجيهها . ومنى استطعنا الوصول الى المستوى الذي يراجع فيه الاستاذ او المحاضر دراسة علمية باللغة الاجنبية فيقدم لطلابه هذه الدراسة في اليوم التالي بلغة عربية سليمة تكون قد حققنا لفتنا الحبيبة مواكبة العلم لا مراقبته عن بعد فقط .

ان تاريخ وضع المصطلحات العلمية في عصر النهضة الحديثة يشهد بالدور الممتاز الذي اداه المترجمون والعربون ادباء وصحافيين وواضعين ماجم . وان خير ما تفعله الجامع والمؤسسات اللغوية هو وضع الاسس والقوانين التي يستنار بها في صوغ المصطلحات او تعریبها والقيام بدراسات حول اصول الترجمة والتعریف وتشجيع القيام بمثل هذه الدراسات وتقديرها ونشرها . ويساورني في هذا الحال شعور بأن القرارات الأربعين (2) التي اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة في ربع القرن الماضي تعادل في أهميتها العشرين الف مصطلح التي اتحفنا

(2) راجع هذه القرارات في الصفحات (742 : ك - ن) من هذا المجم .

(3) تجد في المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - المئات من هذه الالفاظ المعرفة مثل فونوغراف وفرملة وقلاؤوظ وتلسكوب واسمونت وايتل وانتيمون وبندول وزنك وميكروفون ومرسل ومير كير كروم ... وسواها .

2 - كذلك يجدر بنا التساهل في أمر النساء الساكنين سواء أكان الأمر مقتضياً على ساكنين اثنين أم على عدة ساكنين فنقول : مورس وبول وشارل وباند ورنجن وكفستون وبانت .. الخ .

3 - إضافة الحروف الثلاثة b ، f ، g ل المؤدي لفظ الحروف اللاتينية V, P, G (حين تلفظ كالجيم المصرية) فنقول : تلفزيون وفلط وبيسين ونبالم ونجستروم وجاليوم الخ ... وبذلك تصبح لفتنا قادرة على تأدبة الألفاظ الأجنبية بصورة مقبولة فتسد الطريق على دعاة التحول إلى الحرف اللاتيني أو سواه من سبل تحديث اللغة .

إن قضية الاقتصر على المصطلح واحد لسمى واحد هي قضية متفق عليها نظرياً أو قليلاً . لكن الاتفاق على تحديد المصطلح هو أمر لن يخلو من الاختلاف والرد . وما دام باب الترجمة مفتوحاً ف المجال للاختلاف اضمن حدود المتوقع تماماً وارد وليس لاي فرد او جماعة مهما كانت سلطتهم اللغوية ان يشطبوا مصطلحاً ليحلوا آخر مكانه نهائياً . فالمستقبل هو الحكم والاستعمال هو الغريل وقد يثبت أكثر من مصطلح امام هذه الفربلة التي لا تتم في سنة او اثنين بل تحتاج إلى عشرات السنين وتم عادة بصورة غفوية .

وحين تأتي الترجمات عن مصادر مختلفة فالاختلاف أمر طبيعي ، فالذى يترجم المصطلح عن الانجليزية لن تتفق ترجمته دائماً مع الذى يترجم المصطلح عن اللغة الفرنسية حين لا يحوى المصطلح جذرًا لاتينياً أو يونانياً مشتركاً . فمثلاً الترجم عن الانكليزية يترجم power في المجال الميكانيكي بـ « قدرة » و force بـ « قوة » بينما الذى يترجم عن الفرنسية معرض لترجمة الفكرتين بـ « قوة » لورود كلمة force في التعبير الميكانيكية الدالة على القوة حيناً وعلى القدرة حيناً آخر . وأحياناً يبدو المراد فإن المترجم للمصطلح الواحد وكان لا علاقة تربطها وذلك لاختلاف اسم المصطلح في اللغات المترجم عنها ، فمثلاً في ترجم المصطلح ذاته بـ « مروحة غرينية » وعن الفرنسية ترجم المصطلح ذاته بـ « مخروط الانصباط » عن nitrogen cône de déjection

العربية الأساسية وهو أن فهم المعلومات وهضمها لا يتحققان تربوياً إلا عن طريق اللغة القومية . لكن هذا التقيد كانت له فوائد إيجابية فقد ركز الانتظار على ضرورة الاهتمام بالفردات اللغوية الفائمة التي أغفلتها وأضمو المعاجم الكلاسيكيون أمثل الخليل وأبن دريد والجوهرى وأبن منظور والغيرة زبادي كما كانت له نتائجه الخيرة في تأسيس الندوات والمجامع اللغوية التي قامت بمحاولات طيبة ومشرمة في مجال تطوير اللغة والاستفادة من مرونة أبواب القياس والاشتقاق فيها فأصبح لدينا من مصطلحات العلم والصناعة اليوم ثروة وتراث نستطيع أن نستند اليهما في جمل لفتنا القومية توأك مكتشفات العلم وتجارب منجزات الحضارة الحديثة .

ان الفيض الهائل من كلمات العلم التي تتدفق علينا كل يوم يجعل من عملية الترجمة المطلقة امراً غير عملي ، والقادعة المنطقية في الترجمة والتمرير هي ان ما هو أصل في اللغة المنقول يتترجم ، أما الألفاظ العالمية النسمية والمشتقة من اليونانية او اللاتينية (كتلفون وتلسكوب وميكروفون وميكروسكلوب وتلفزيون) او الموضوعة تخليداً لذكرى عالم او مخترع امثل فلطف واوم وكورى وأمير وواط) او المركبة من احرف متعارف عليها دولياً مثل رادار وراداريك وليزر وميرز ونبالم) فتعمرب كما هي (4)

ولكي تصبح لفتنا قادرة على تأدبة المسميات العربية بشكل صحيح علينا ان نتساهل في لفة المصطلحات العلمية والتكنولوجية بالأمور التالية :

1 - جواز الابتداء بالساكن وهو أمر ليس بالغريب على اللهجات العربية قديماً وحديثاً . إن الابتداء بالساكن في كثير من الألفاظ العربية يحتمه ضبط تأدبة المسميات كما يلفظها الناس في معظم أنحاء العالم ، فنقول كلورات وكروم وغرافيت وترابيد وبروتون وبراؤن وسمث وسبكتروскоп ، أما إضافة حرف الالف عند تعریب الألفاظ الفرنسية التي تبدأ بحرف ساكن او تحرير الحرف الساكن نفسه فيما تحريف لا مسوغ له يبعد منطق لفظ عن صورته وبيئته الأصلية ، ف Brown مثلًا هو براون لا براون ولا براون او براون او براون (بالكسر او الفتح او القسم)

(4) انظر البند 32 من موجز قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة ١ ص 739 : من هذا البحث .

منها فنقول : « عصر » تارة و « حقبة » او « حقب »
تارة اخرى

ولاريد ان اذهب بعيدا في هذا الموضوع فقد
خطر بيالي وانا اكتب هذه الفقرة ان اراجع بعض
المصطلحات المعنية في معجمين متخصصين في
الجغرافية والجيولوجية صدرا عن مجمع اللغة العربية
في القاهرة (الذي هو دون ريب افضل مؤسسة عربية
في مجالات ايجاد المصطلحات وتطويع العربية وتطويرها)
فلاحظت اختلافا بينا في المرادف العربي للمصطلح
الواحد ، وهذه بعض الامثلة من حرف A :

قال « نتروجين » عن الانكليزية و « آزوت » عن
الفرنسية azote

اضف الى ذلك ان موضوع المرادف الواحد لم
يتحقق حتى في اللغة الواحدة من اللغات التي يؤلف
فيها العلم حاليا ، فتجد الفيزيائي الاميركي يستعمل
electron tube فترجم عنه « انبوبة الكترونية »
 بينما يكتب الفيزيائي البريطاني electron valve
 فترجم عنه « صمام الكتروني ». وقد يستعمل
 العلماء في البلد ذاته مصطلحين مختلفين استعمالا
 متبادلا في كلتي epoch, period ^{أثنان} ترجماتنا
(عن مؤلفاتهم) لتلك المصطلحات غير محددة بوحدة

المرادف العربي في (معجم الجيولوجية)	المرادف العربي في (معجم الجغرافية)	المصطلح الانكليزي
نذرية	حج	ablation
بوري	حج	abrasion
صخور الأعماق	الصخور الفورية	abyssal rocks
رواسب ريحية	رواسب هولانية	aeolian deposits
رصاص بركاني	راهصة بركانية	agglomerate
سهل طمي	سهل غريني	alluvial plane
قبو . طيه محدبة	حدبة	anticline
تحدب مرکب	حدبة متضمنة	anticlinorium
مستودع ماء ارضي	طبقة خازنة للماء	aquifer

يلاحظ ان هناك شبه اقتئاع بعدم امكانية الاقتصار على
مرادف واحد للمصطلح الاجنبي المعين في الوقت
الراهن . ففي الوقت الذي يقر فيه مجمع اللغة العربية
في القاهرة مبدئيا ان :

« الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب
ان يقتصر فيها على اسم خاص واحد لكل معنى » (6).
تجده بعد بعض جلسات يقر مادة اخرى تنسص
على ان :

« تضاف كل لفظة سرت في البلاد العربية الى
جانب ما وضعته اللجنة المجمعية (7) .

والاختلاف هنا هو من النوع المتوقع بل لعله هو
الأمر الطبيعي في المرحلة الراهنة ، فقد يكون المرادفات
مكملين او مفسرين أحدهما للآخر كما هي الحال عادة –
ثم ان هذا النوع من الاختلاف لا يخرج المرادف عن
نطاق مدلوله العلمي ، وقلما تخلو منه اي لغة عصرية (5)
ولن يكون عسيرا على القارئ الوعي امساك
المرادفين العربين الى المصطلح الاجنبي المترجم في
أغلب الأحيان .

والذي يدقق النظر في اعمال مجتمعنا العربي
(ومجمع اللغة العربية في القاهرة بصورة خاصة)

(5) لاحظ مثلا استعمال

muffler, silencer, condenser, capacitor, instrument, tool, generator, dynamo, motor, engine.
حيث تستعمل هذه الالفاظ استعمالات متبادلة في معظم الأحيان .

(6) مجموعة القرارات العلمية – مجمع اللغة العربية – القاهرة 1963 ، ص 141 .

(7) المصدر أعلاه ص 158 .

العلمية والفنية والتكنولوجية يعمل على نشر هذه المصطلحات وتقديرها وتوسيعها .

ان قوانين الانتخاب الطبيعي والتطور وبقاء الاصلاح تجري على الانفاظ والمصطلحات جريانها على الكائنات الحية - فاللغة من حيث صلتها الوثيقة بارقى طبقة في الكائنات الحية هي ايضاً كائنة ينتمي يخصائص الاحياء ينمو ويتطور ويتكيف وقد تذويب بعض اجزاءه فينبت كثير غيرها . ولا بد للغة الحية من مداومة السقيا بمناسير الحيوانية والتتجدد ، لتساير تقدم الامة وتعاشي احتياجاتها الفكرية والعلمية والاجتماعية والصناعية . أما تختلف اللغة عن مسيرة الزمن وملاءمة متطلبات الحياة فمعناه الجمود ، والجمود ليس من خصائص الاحياء .

ان قوانين الانتخاب الطبيعي تعمل في اللغة عن طريق الاستعمال والزمن وتطور الذوق اللغوی العام للأمة . فهناك الفاظ تبدو ضعيفة وتقوى مع الزمن وأخرى تبدو قوية سليمة ولا تصدأ أمام الاختبار . ان بعض الانفاظ التي كانت مستهجنة عند ما كتب الدكتور محمد شرف مقدمته للطبعة الثانية من مجموعه الطبي (1928) مثل هضمن وليفين واسيتون وكيروسين وتلفون وتلغراف هي كلمات مقبولة اليوم بينما زالت او هي في طريق الزوال كلمات كانت رائجة حينئذ مثل المسرة والارزيز والسفير (للتلفون) والمائة (للهيلازوجين) والضرير (للبنزين) والمحر (للأكسجين مرة للترمومتر اخر) والمرواز (للبارومتر) والجماز (لل ترام) والرقين (للدولار او الريال) والمدرة للمحامي ... الخ .

كذلك كان الكثير من المرادفات تعايشت اما مع مرادف عربي آخر مثل « سجع وفارة ومسحاج » ، و « راتب وماهية وعاش » ، ومثلها « انتفاء وتأود » ، و « حدية وقبوة وطبة محدبة » او مع المصطلح العربي كما في « الامونيا والنشار » ، « الشرطي والبولييس » والهاتف والتلفون ، و « البرق والتلغراف » ، و « المحرك والمotor » ، و « الكهرب والاكترون » . وهذا التعايش ليس غريباً على اللغة التي تعودت ان تجمع للمعنى الواحد عشرات الاسماء .

والفرق واضح بين ما يجب وبين ما هو عمل في الوقت الحاضر .

ثم انه ليس من الحكمة في هذه المرحلة سبك المصطلح واعطاوه هالة من القدسية تجعله في متناول عن النقد او التحوير ، فلا بد ان يبقى باب الاجتماع مفتوحاً لمن يقترح اللفظ الأفضل خاصة فيما يتعلق بالمرادفات التي لم تكتسب حظاً وافراً من الشيوع او المرادفات التي تشكو نقصاً او دقة او ظلاً يبعدها عن تأدبة معنى المصطلح العلمي او الفني المقصود ، وهذه ثلاثة أمثلة اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة :

مثلاً في كلمة *aneroidograph* قيل *barograph* (المجل المعدني) (8) ولو قيل « بارومتر معدني ذو مرسة » او « بارومتر لا سائي مسجل » لكان افضل لأن « المجل المعدني » يمكن ان يكون اسماً لعشرات المعنى .

وفي *coaling station* « محطة التموين » (9) والواقع ان « محطة التزود بالفحم » أقرب الى اداء المفسم .

وفي كلمة *lag* قيل « التاخر » (10) ولو قيل « التخلف » لكان افضل لأن الكلمة فيزيائياً تعني « التاخر مع بقاء بعض الشيء او الاثر المختلف » .

وكذلك فإنه حين تساوى الكلمات من حيث اداوها للمعنى فإن الذوق اللغوی للمترجمين يختلف، فحيث يستعمل أحدهم « محشة » و « منجلة » و « منشاش » ، قد يفضل الآخر مرادفات أكثر شيوعاً مثل « محراك » و « ملزمة » و « ملقط » . وان الاختلافات التي من هذا القبيل ليست فقط امراً طبيعياً لا بد منه بل أنها أمر قد يكون مرغوباً فيه . وما دمنا نقبل ان المستقبل هو الحكم وان الاستعمال هو الغربال فذلك سبيل معقول يتمشى والمبادئ العلمية والمنطقية . وحيثاً لو تعلم الدائرة الثقافية في امانة الجامعة العربية بالاقتراح الذي قدمه أحد خبراء اليونسكو في المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد عام 1955 بضرورة انشاء مكتب دائم للمصطلحات

(8) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع - المجلد السادس - القاهرة 1964 .

(9) ص 94 ، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع - المجلد السادس القاهرة 1964 .

(10) ص 9 مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع - المجلد العاشر ، القاهرة 1968 .

عدد المثقفين زيادة ضخمة حتى ان اللغة الفصحى اضحت الى حد لغة الجميع كتابة وقراءة وسماعا ، ففي كل عام تزداد دور العلم ويزداد عدد المتخريجين منها والآفدين اليها ويتوسع نطاق النشر ويتضاعف عدد القراء ، وفي كل يوم تزداد وسائل الاعلام قوة وانتشارا . وبوجود التراييستور وكثرة دور الاذاعة تمتلىء اسماع الناس باللغة الفصحى (او القرية من الفصحى) حتى بدانوا للحظ ان لغة الرجل العادى اليوم اقرب الى اللغة الفصحى من لغة الرجل العادى بالأمس القريب ، كذلك صرنا لا نستغرب ان تنتشر اللغة او المصطلح على السنة العلائين فى الوطن العربى بين عشية وضحاها ، فما ان ينبع مثلان « محطة فضائية » روسية اخذت لها مدارا حول المريخ او ان جرما امريكيها فضائيا « هبط هبوطا هينا » على القمر حتى يجري مصطلحا « المحطة الفضائية » و « الهبوط الهين » على كل لسان فى كل بيت وناد . وطبعا لن تنتظر وكالات الابباء ولا اصحاب الصحف ولا الناس العاديون فى كل مكان ما تقرره الجامع اللغوية بشأن صلاحية هذه المصطلحات او عدمها . وهذا يزيد من أهمية عمل المترجمين وواعضي المصطلحات من جهة ويضعهم أمام الاختبار الجماهيري الفورى وأمام مسؤوليتهم نحو مستقبل اللغة من جهة ثانية ...

ان مهمة القيام بترجمة (او بتعريب) المصطلحات العلمية والفنية ، بل ان مهمة الترجمة بشكل عام ، ليست من الامور التي يمكن لأى كان أن يقوم بأدائها - ورحم الله أحمد فارس الشدياق الذى يقول :

ومن فاته التعريب لم يدر ما المعا
ولم يصل نار الحرب الا المحارب

الترجمة صناعة وفن ، واني اذ ادعو الى تجنيد المجهود الفردى فى مواجهة ذلك الفيض المتدقق من المصطلحات العلم والصناعة والتكنولوجية فائما ادعوا ضمنا الى اعداد جيل من الاختصاصيين فى حقل الترجمة والتعريب وخاصة فى حقل الترجمة العلمية الفنية .

ان السبب الامثل الذى ادى الى نشل عملية الترجمة العلمية فى بداية القرن الحالى وخدم قضية

ويحدث فى حياة الالفاظ والمصطلحات احيانا طفرات يتتحول معها معنى اللفظة عن وجه استعمالها القديم الى استعمال آخر جديد فالسيارة اليوم غير السيارة (القافلة) بالأمس ، وهكذا الدبابة والمسدس والذرعة والجرثومة والعنصر والهاتف والصاروخ والطائرة والمكتب والمحافظة والمصنع وآلاف الالفاظ الأخرى التي تحول معناها عن المعنى الذي كان مالوفا للجاحظ او لابن المقفع مثلا . وهذا التحول اسر عرفته العربية دائما فمع ظهور الاسلام تحولت مئات الالفاظ كالصلوة والزكاة والجهاد ... والايمان والكفر ... والجنة والنار عن معاناتها المألوفة الى معان جديدة كذلك استعمل التحويون الفاظا عديدة كالرفع والجر والنصب والضم ... والاسناد وسوها على غير المأثور من معاناتها ، ومثل هذا حديث ويحدث دائما فى مصطلحات العلم والفلسفة والاخلاق والفنون ، ولا غرابة فى ذلك فنحن نشهد مثل هذا التحول فى كل احوالنا المعيشية والفكرية والاجتماعية والحضارية . وقد يحدث هذا التحول على مدى طويل كما كانت عليه الحال فى الماضي ، او قد يحدث فى وقت قصير نسبيا كما هي الحال اليوم . لند لاحظت مثلان المجمع الوسيط (الذى لم يمض على صدوره من مجمع اللغة العربية فى القاهرة عشر سنوات) يذكر مثلا من معانى كلمة « المنظار » (1) : « المرأة » و « الميكروسكوب » و « التلسکوب » ويمثل على معنى اللفظة بصورة منظار ميدان ، وهذا الاخير هو المسمى الوحيد من هذه المسميات الاربعة الذى يغلب عليه لفظ « المنظار » اليوم . كذلك فى معنى « المجهر » يذكر المعجم نفسه ان « المجهر » هو « المجهار » والمجهار من يجهز بكلامه عادة او « جهاز تصدر عنه ذبذبات كهربائية » (وهو المعروف بالميكروفون) (2) . ويدرك المعجم فى مكان آخر ان « المجهر » هو « الميكروسكوب » (3) لكن الاستعمال غربل هذه الالفاظ التي هي فى اصلها مادة واحدة ، فميز « مجهر » لمعنى « ميكروسكوب » وخص « مجهار » بمعنى « ميكروفون » وصار استعمال « مجهار » لعن يجهز بصوته عادة استعمالا مجازيا فقط على سبيل التشبيه بالميكروفون .

تقديما كان التطور فى اللغة الفصحى ويندانا اللغة الفصحى كانت لغة الخاصة ، أما اليوم فقد ازداد

(11) ص 940 المجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية - القاهرة 1961 .

(12) ص 143 ، المصدر السابق .

(13) ص 940 المصدر السابق .

أوجدت المهندسين على شتى اختصاصاتهم وأدى تطوير الصناعة الى خلق جيل من الفنانين والصانعين يسرنا ان نراهم في ازيد مطرد ، لكن الامر الذي يلف النظر هو اننا مع حاجتنا الماسة الى الاختصاصيين في الترجمة العلمية والفنية لم تتحرك جديا على اي مستوى لمواجهة هذه الاحتياجات .

ان لبنان ملتقى الحضارات ، هو البلد المؤهل للقيام بحركة فاعلة في هذا السبيل ، وجامعات لبنان خاصة الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة القديس يوسف) تتحمل مسؤولية كبيرة في هذا المضمار . واني لاتمنى على الجامعة الأمريكية في بيروت وهي السباقه في مجالات التربية والثقافة ان تضع برنامج دراسة لاعداد اختصاصيين في الترجمة على غرار برنامج في ادارة الاعمال الذي انشائه في مطلع الخمسينات ، يمنع الطلاب في نهاية درجة في الترجمة العلمية او الأدبية تبعا لاستعداد الطالبشرط ان تكون شروط الانتساب الى هذا الفرع شهادة البكالوريوس في الآداب او شهادة البكالوريوس في العلوم ، ويرتب للمتنسبين في هذا الفرع برنامج دراسي من سنتين يتلقيون فيه دراسة مكثفة في اصول اللغتين - المتقول عنها والمنقول اليها - وآدابهما وقواعدقياس والاشتقاق فيما ، ويطلعون على الترجمات المتازة للروائع التي نقلت من احداهما الى الأخرى ويدرسون دراسة مقارنة المرادفات والمصطلحات التي وضعتها الجامعات العربية واصحاب الماجم ورواد الترجمة في عصر النهضة قديما وحديثا، بالإضافة الى ما يراه المشرفون على هذا البرنامج من مستلزمات الكفاءة لهذا الاختصاص التشعب النواحي.

ان خلق مثل هذا الجيل من الاختصاصيين في الترجمة الفنية والعلمية والأدبية سيجعل التحول نحو تعريب التعليم في شتى الحقوق العلمية والصناعية امرا عمليا سهلا وسيزود المؤسسات الصناعية والتغذية والمصالح الحكومية وخاصة محطات الإذاعة ودور النشر في شتى أنحاء الوطن العربي بخبراء في الترجمة يستطيعون ان يقدموا في حقول اختصاصهم مصطلحات عالية المستوى محددة المدلول وبذلك يساهمون بجعل اللغة القومية مرآة صادقة للمستوى الحضاري الذي بدأنا نعيشه والذي نريد ان توакبنا لفتنا فيه ، والله الموفق !

الاجنبي في القول بعدم صلاحية اللغة العربية لتأدية العلوم الحديثة والتحول وبالتالي إلى تعليم المواد العلمية والفنية والتكنولوجية باللغات الأجنبية هو انعدام مثل هذا الجيل من الاختصاصيين ؛ والمؤسف انه لم تتوفر لدينا حتى اليوم الكفايات المنشودة لحمل اعباء التحدي الضخم الذي نواجهه في هذا المضمار .

ان الفنانين عندنا من مهندسين وصناعيين وكذلك المختصين في فروع العلم الحديث على اختلافهما واكثراهم من درسوا في بلاد الغرب او تلقوا العلم بلغة أجنبية في احد البلاد العربية، مع احترامي البالغ لهم وتقديرني لبراعتهم في حقول اختصاصهم ، يكادون يجعلون قواعد اللغة القومية واصول الاشتقاء والقياس فيها ، حتى انك تكاد لا تميز الاختصاصي في علم من العلوم عن الرجل العادي اذا ما تكلمنا باللغة القومية . ان المهندس الانكليزي او الفرنسي او حتى اليراني او التركي او الاسرائيلي اذا ما تكلم او كتب احدهم باللغة القومية استطاع ان يتكلم او يكتب في مستوى يتناسب مع اختصاصه وثقافته ومستواه العلمي ، وهذا للأسف ما لا نستطيع قوله عن الفتى العربي الاختصاصي في احد فروع الصناعة او التكنولوجية، حتى ولا عن الغالبية العظمى من مهندسينا وصناعيتنا وفيزيائيتنا وسواهم من أصحاب المهن المتصلة بأمور العلم والصناعة . والمترجم اذا ضعفت عنده احدى اللغتين كثرت اساءاته للترجمة وزادت اليساءة الى اللغة الفرعية عنده - وهي في حالة الفنانين عندنا ، اللغة القومية - والنظام التعليمي عندنا هو المسئول عن ذلك .

لقد خططت الترجمة الى اللغة القومية خطوات ناجحة على ايدي فئة المثقفين الذين مكثهم اختصاصهم وجدهم الشخصي من الحصول على نصيب وافر من علوم اللغة والتسلل من اصولها وقواعدها ، اعني فئة الصحافيين والمحامين والأدباء وهؤلاء بطبيعة الحال لم يقبلوا على الترجمات العلمية بل وجوهوا جل مجدهم نحو الترجمات الأدبية والقصصية والاجتماعية فابدأع من بينهم الكثرون ، اما الترجمة الفنية العلمية والتكنولوجية فقد ظلت قاصرة عن بلوغ المستوى المقبول فنيا ولغويا - فكان ذلك تكريسا غير مقصود لفكرة عدم صلاحية اللغة القومية لتأدية العلوم الحديثة والفنون والصناعة والتكنولوجية .

ان حاجتنا الى المناعة الطيبة المتطورة اوجدت الاطباء الاختصاصيين ، وال الحاجة الى الانشاء والتصميم